مجلة إضاءات علمية المجلد (الثاني) العدد(الثاني)السنة (ربيع الآخر 1443 ه / ديسمبر2021م)



مجلة إضاءات علمية

جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله -



المهدي المنتظرين :جدلية الإنسان والانتظار.

Article on: The Waiting Mahdi between the Dialectic of Man and the waiting

الباحثة : سمية المذكوري

Soumaya Amadhkouri

مختبر التاريخ والتراث كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،

جامعة ابن طفيل – القنيطرة – المغرب

marchabare@gmail.com

الارسال:2021/07/12 القبول :2021/09/18 النشر:2021/12/01 المرسل: سمية المذكوري

الملخص:

يعد موضوع المهدوية من الموضوعات التي تناولها الباحثون بمختلف مشاربهم الفكرية والإيديولوجية، وبتوظيف مناهج عدة، بما يتوافق مع المقاصد التي يرمي إليها كل طرف، وعبر القراءات الانتقائية لما ورد في المصادر التاريخية، التي بدورها تحمل مواقف توضح نظرة صاحبها للموضوع.

سنحاول في مقالنا هذا تقديم دراسة الموضوع ليس بالتركيز على موقف دون آخر، بل سنتبع منهجا مقارنا يلقي النظرة على نماذج ادعت المهدوية، وإن اختلفت في منطلقاتها المذهبية والعقدية، بالعودة إلى تاريخ الفتنة الكبرى التي أدت إلى نشأة فرق ومذاهب إسلامية بخلفيات فكرية واجتماعية متصارعة.

الكلمات المفاتيح: المهدي المنتظر، السنة والشيعة؛ الغيبة الصغرى والكبرى.

Abstact:

The subject of Al-Mahdoui is considered to be a matter of research in various intellectual and ideological ways, using a variety of methods, in line with each party's purposes, and through selective readings of historical sources, which in turn hold positions that illustrate the author's view of the topic.

In this article, we will try to present a study of the subject, not by focusing on one situation or another, but by following a comparative approach that takes a look at the models that Al-Mahdawi claimed, although different in their doctrinal and nodal terms, back to the history of the great discord that led to the creation of Islamic divisions and doctrines with competing intellectual and social backgrounds.

***Key words:** Al Mahdi, Sunnah and Shia; Minor and grand backbiting:*

مقدمة:

أشارت العديد من المصادر إلى أن عدة ديانات وأمم وشعوب تقاسمت عقيدة عودة المهدي المنتظر أو المنقذ:"إذ يعتقد اليهود بظهور المخلص للتكفير عن خطايا وذنوب البشر، ويؤمن المسيحيون برجعة المسيح لتطهير العالم من الظلم، كما توجد فكرة المنقذ عند المصريين والفرس والصينيين والهنود القدامى. وظهر نفس الاعتقاد في المغرب الأقصى حيث ادعى بعض الحكام المهدوية، مثل صالح ابن طريف مؤسس الإمارة البرغواطية، وكذلك ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية الذي ادعى المهدوية". وقد دعت المهدوية في الديانات والمعتقدات إلى التغيير الاجتماعي، وتعد أتباعها بواقع أفضل في العالم الدنيوي، لكن باستعمال وسائل مرتبطة بما هو غيبي أخروي.

1. المهدي في ضوء عقيدة أهل الشيعة

تعددت أقوال الشيعة في عقيدة المهدي غير أن فكرة الإمام الخفي أو الغائب توجد لدى معظم فرق هؤلاء:"وتعتقد في أن إمامها بعد موته أنه لم يمت، فتقول باختفائه عن الناس، ومن ثم عودته إلى الظهور في المستقبل مهديا، ولا تختلف هذه الفرق إلا في تحديد الإمام الذي قدرت له العودة، تبعا لاختلافها في تحديد الأئمة وأعيانهم، وهذا مما يجعل القول بذلك فيه شيء من القوة فيما يبدو، ومن أشهر الفرق الشيعية القائلة بهذه العقيدة الإمامية الاثنا عشرية، حيث يقولون باختفاء محمد بن الحسن العسكري وعودته مهديا ".[1]

ويمكن القول إن عقيدة المهدي المنتظر من العقائد الأساسية عند الشيعة لا سيما أنهم قد توارثوها عبر الأجيال، وأضافوا إليها مسألة الإمام الغائب. وقد اختلفوا في يوم مولده على خمسة أقوال:قيل إنه ولد سنة خمس وخمسين ومائتين في ليلة نصف من شعبان[2]، وقيل:إنه ولد سنة ست وخمسين ومائتين[3]، وقيل أيضا إن المهدي ولد سنة أربع وخمسين ومائتين[4]، وفي قول رابع إن المهدي ولد في الثالث والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين[5]، وفي خامس أن المهدي ولد سنة سبع وخمسين ومائتين.[6]

وورد في كتب الشيعة: "أن رسول الله ليلة وفاته أملى على علي وصيته، وقال:سيكون بعدي اثنا عشر إماما، ومن بعدهم اثنا عشر مهديا، فأنت يا علي أول الاثنا عشر إماما وفكرهم حتى وصل إلى الحسن، وقال:إذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المتحفظ من آل محمد عليهم السلام، فذلك اثنا عشر إماما، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهديا، فإذا حضرته الوفاة فليسمها إلى ابنه أول المقربين له، ثلاثة أسامي:اسم كاسمي واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث المهدي، وهو أول المؤمنين" [7]. وقد جاءت نصوص أخرى عند الشيعة تبرهن على أن المهدي المنتظر من نسل الحسين رضي الله عنه[8]. واستدل الشيعة الإمامية بكثير من الآيات التي يؤكدون من خلالها أنها نزلت في الإمام المهدي وأصحابه، ومن جملة هذه الآيات على سبيل المثال ما يلي: قول الله تعالى {ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين}سورة القصص : الآية 5. ومعنى هذا كما فسره جمهور الإمامية: "جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام : لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها، وتلا عقب ذلك :{نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين}. وأشار إلى أصحاب المهدي رضي الله عنهم بقوله :

"ألا بأبي وأمي هم من عده، أسماؤهم في السماء معروفة، وفي الأرض مجهولة"[9]."ومن المعلوم أن سورة القصص مكية، نزلت بتمامها قبل خلافة الشيخين وقبل الهجرة، فمن أين جزموا بأنها تختص بالمهدي ولم يكن الإمام الأول قد نصب بعد أو بويع؟".[10]

ويظهر أن علماء الشيعة الإمامية قد بالغوا في الاستكثار من "الأحاديث النبوية" التي تؤكد على وجود المهدي المنتظر نذكر بعضها:"عن عباس رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن عليا إمام أمتي من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي إذا ظهر يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما، ..)"[11]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت جورا)"[12]."وهذا الحديث ينافي كل ما ذكره الشيعة

واستدلوا به، فليس هو المهدي بن الحسن العسكري، وإنما هو محمد أو أحمد بن عبد الله كما جاء في الحديث عن أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام في الخبر الذي روى، وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية، فقال:إن هذا حق كما أن النهار حق فقيل:يارسول الله فمن الحجة الإمام بعدك؟فقال:ابني محمد هو الإمام الحجة بعدي، فمن مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية)".[13]

1.1:(1-2 غيبة المهدي عند الشيعة

تعتقد عدد من فرق الشيعة بأن إمامها لم يمت، وتقول باختفائه عن الناس ثم عودته إلى الظهور في المستقبل مهديا، ومن أشهر الفرق الشيعية القائلة بهذه العقيدة الإمامية الاثنا عشرية.[14]

وقسم الشيعة الغيبة إلى قسمين:الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى:

الغيبة الصغرى:"يرجعون سببها لخوف المهدي المنتظر من القتل حيث نسب الشيعة للخلفاء العباسيين ملاحقة المهدي لقتله، وقد بدأت فترة الغيبة الصغرى حسب ما جاء في رواية الشيعة، بوفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، عام260هحين كان عمر الإمام المهدي خمس سنين تقريبا، واستمرت قرابة 70 سنة حتى عام 329ه، حيث انتهت بوفاة السفير الرابع، وبداية الغيبة الكبرى.ودليل الشيعة على الغيبة المزعومة ما رواه أبو بصير قال:قلت لأبي عبد الله عليه السلام:كان أبو جعفر يقول :(لقائم آل محمد غيبتان واحدة طويلة والأخرى قصيرة، قال: فقال لي:نعم يا أبا بصير، أحدهما أطول من الأخرى)"[15]. ذكر الشيعة عدة أسباب الغيبة الصغرى تتمحور حول سببين رئيسين:"الأول الخوف على المهدي المنتظر من قتل العباسيين له، والثاني:تهيئة الأمة بأكملها للغيبة الكبرى، التي بدأت من عام 329هـ بموت السفير الرابع للمهدي، كما ادعى الشيعة أن مهديهم الغائب له أربع سفراء منهم أبو عمر عثمان بن سعيد العمري، وأبو جعفر محمد عثمان بن سعيد العمري، وأبو القاسم حسن بن روح النوبختي، وأبو الحسن علي بن محمد السمري".[16]

الغيبة الكبرى: حسب ما جاء به الكليني في كتابه"الكافي"بدأت من عام 329هـ بموت السفير الرابع للمهدي المنتظر. وذكر علماء الشيعة عدة أسباب أدت إلى وقوع الغيبة الكبرى، نذكر على سبيل المثال: "تمحيص المؤمنين في زمن الغيبة الكبرى، فإن الامتحان الأصعب على المؤمن أن يمر بمرحلة الابتلاء أو الاختبار، فالمؤمن القوي من يثبت على إيمانه"[17]. ويذكر هؤلاء أن "الغيبة سر من أسرار الله تعالى" وهكذا يعلل الشيعة غيبة المهدي المنتظر عندهم:(وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيابات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره، كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلا وقت افتراقهما، يا ابن الفضل إن هذا الأمر أمر من الله وسر من أسرار الله وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنه عز وجل حكيم، صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف لنا".[18]

والملاحظ أن هذه النصوص تتنافى مع ما جاء به المؤرخ النوبختي صاحب كتاب "فرق الشيعة" الذي جزم بقوله :"(إن الحسن العسكري قد توفي، وليس له عقب؛ أي وريث ولا ولد)"[19]."وأشار كذلك إلى الضياع الذي عاشته الشيعة، بعد موت أبي الحسن العسكري دون ولد، وكيف ادعوا أنه سيعود بعد موته إلى الحياة لكونه المهدي، في حين ادعى آخرون ولادة طفل له بعد موته بثمانية شهور لكنهم اصطدموا بما روي عن أبي عبد الله قال:(لا يموت الإمام حتى يعلم من يكون من بعده فوصى إليه)"[20].وردت كذلك إشارة لهذه الرواية في كتاب"الفصل في الملل والأهواء والنحل"للإمام ابن حزم الظاهري: "ذهبت الفرق الإمامية الرافضة التي تنتظر رجوع محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر، أنه حي لم يقتل ولامات ولا يموت حتى يخرج فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وهو عندهم المهدي المنتظر، ومنهم من يعتقد أنه لم يولد قط، قبل موت أبيه، وذهبت فرق أخرى بقول أنه لم يولد بعد موت أبيه ".[21]

أما بخصوص مكان اختفاء المهدي فهناك تباين بين الفرق الشيعية: " فذهب فريق منهم إلى أنه لا يعلم له مكان، وذهب فريق آخر إلى أن المهدي مقيم في المدينة المنورة. وقال جماعة:إن المهدي يقيم في واد من وديان مكة، وقال جماعة أيضا: إنه يقيم بسرداب في سامراء، وأشار الكليني في كتابه "الكافي" إلى التباين الواقع بين الفرق الشيعية في مكان غيبة واختفاء المهدي، ويمكن ذكر أقوالهم مدعمة بأدلتهم على النحو التالي: إنه لا يقيم في مكان معلوم. وعن عبيد بن زرارة قال:سمعت أبا عبيد الله عليه السلام يقول:(يفقد الناس إمامهم، يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه)"[22]. أما بخصوص الفرقة التي ادعت أن المهدي المنتظر في غيبته يسكن واد من وديان مكة، فعن أبي جعفر الصادق قال:"(يكون لصاحب هذا الأمر غيبة في بعض هذه الشعاب، ثم أومأ بيده إلى ناحية ذي طوى، وذو طوىهو واد بمكة).أما بالنسبة للجماعة التي ادعت أن المهدي يقيم في السرداب الذي دخله فغاب من وقته وأمه كانت تنتظره، وردت إشارة في كتاب "المهدي"للكاتب آية الله سيد نقلا عن كتاب "الصواعق"أن الشيعة الإمامية أو فرقة منها تزعم أن المهدي المنتظر غاب في السرداب، وهم ينتظرون خروجه منه ويقفون بالخيل على ذلك السرداب يطلبون خروجه. والظاهر أن ما يوجد في بعض المؤلفات من أن الشيعة تزعم أن المهدي غاب في السرداب، منشأه ما يشاهدنه من زيارة الشيعة الإمامية الاثناعشرية لهذا الموضع"[23]، "واعتقادهم أن المهدي حي

يرزق يسمع الكلام، ويرد الجواب، وهو الإمام الذي يجيب عليهم أن يدينوا لله بطاعته، والواسطة بينهم وبينه الله تعالى، يُنْصَحُ زيارته، ويجوز التوجه إليه، والكلام معه في أي مكان وزمان، بأي لغة ولسان".[24]

يمكن أن نلخص مما سبق في عدة نقاط:

- أولا المهدي هو شخص مجهول عند الشيعة، وهناك تباين في ولادته واختلاف في نسبه.
- ثانيا:حاول الشيعة إضفاء هالة من التبجيل والتقديس على هذه الشخصية المجهولة، فنسبوا له مالم يكن لنبي ولا رسول، فادعى بعضهم أن أمه حملت به وولدته في ليلة، ولم يكتفوا بذلك حتى ادعوا أنه خر ساجدا يوم ولادته.
- ثالثا:إن التاريخ يؤيد عدم وجود ولد للإمام الحادي عشر الحسن العسكري، وهذا ما اضطر علماء الشيعة إلى اختراع مسألة قيام الحسن العسكري بعد الموت، ثم مسألة الغيبة الصغرى والكبرى ووجود نواب لابنه المهدي المزعوم.
- رابعا:يأتي المهدي بشرع جديد يخالف ما كان معروف قبله، ويأتي بعلامات موسى عليه سلام ويحكم بشريعة داود.

سادت هذه الاعتقادات عند الفرق الشيعية خلال القرون الوسطى، وظلت مستمرة إلى اليوم.ومن خصائص عقيدة الشيعة الإمامية:تجسيد الأمنية الكبرى لجميع الأمم والأديان وعبر جميع العصور (أطروحة المنقذ والمخلص)إلى حالة واقعية موجودة في شخص يعيش بين الناس ويشعر بآلامهم، ويلمس مشاكلهم...فقضية المهدي المنتظر تحتل مساحة كبيرة في الفكر الشيعي الاثنا عشري، نظرا لارتباطها بعقيدة (الإمامة)، وبالأحرى تشكل المهدوية عند الشيعة منعطفا هاما (تاريخيا ومستقبلا).ويرمز المهدي المنتظر في المعتقد الشيعي إلى النجاة والخلاص الأخروي والدنيوي" .[25]

2.1 2المهدي في ضوء عقيدة أهل السنة

يختلف المهدي عند أهل السنة عن معتقد الشيعة فيه فأهل السنة يصدقون الأخبار المنسوبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، وأنه من آل بيته، ويؤمنون بصفاته دون جعله أصلا من أصول الإيمان.

1-2)عودة المهدي في ضوء أهل السنة

يرسم أهل السنة صورة أخرى عن المهدي إذ: "يقال اسمه كاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واسم أبيه كاسم أبي النبي صلى الله عليه وسلم، فهو على ذلك :محمد أو أحمد بن عبد الله، وهو من ذرية فاطمة بنت رسول الله ثم من ولد الحسن بن علي رضي الله

عنهما"[26]. أما بخصوص رواية ولادة المهدي المنتظر: "روي أن المهدي رضي الله عنه يولد بالمدينة المنورة، عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة"[27]."وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: المهدي مولده بالمدينة، من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ومهاجره بيت المقدس".[28]

والملاحظ أن المسلمين من بقية الفرق الإسلامية يجتمعون على إنكار عقيدة الشيعة في من كون المهدي هو محمد بن الحسن، وأنه اختفى، وبالمقابل أكثر المسلمين يؤمنون بفكرة خروج المهدي المنتظر في آخر الزمان، دون الاعتقاد أنه قد ولد ثم اختفى[29]. جاء في السنة جملة من العلامات التي تدل على ظهور المهدي المنتظر منها:"أن الله سيهيّئه في يوم وليلة للخلافة، عن علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(المهدي من أهل البيت، يصلحه الله في ليلة، يقيم السنة ويعمل بشرع الله تعالى. عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض، فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون"[30]، "فلا يقيم شرعا جديدا بل يوافق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، نقيض ما تذهب إليه الفرق الشيعة الإمامية من كون المهدي يأتي بشرع جديد ويحكم آل داود، ويصلي بالناس إماما وفيهم عيسى عليه السلام. ووصف النبي صلى الله عليه وسلم المهدي المنتظر: "المهدي مني لأجلى الجبهة أُنى الأنف، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، يملك سبع سنين".[31]

يمكن تلخيص ما ورد في كتب السنة عن المهدي في عدة نقاط:

- الأولى:هو رجل من آل النبي صلى الله عليه وسلم، ومن نسل الحسن على الأرجح، يولد في المدينة، ويبايع في مكة، ويهاجر إلى الشام.
- الثانية:هو إمام عدل يأتي بالرحمة للناس جميعا، ويحكم بسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويملك في هذه الأمة بضع سنين، يجمع الله به كلمة المسلمين وينصرهم على أعدائهم، حتى يأتي الدجال فيضيق الأمر عليه وعلى من معه، فيؤيدهم الله بعيسى بن مريم عليه سلام، فيقتلون الدجال.

من خلال كل ما ورد في هذا المحور الذي عرضنا فيه معطيات تتعلق بالمعتقدات الفكرية حول مسألة المهدي وعودته عند الشيعة والسنة، وجب علينا تحليلها والكشف عن الأرضية الاجتماعية التي أنتجت هذا الفكر وآمنت به، لا يمكن لأي باحث أو مؤرخ في التاريخ الإسلامي، أن يخوض في أحداث هذا التاريخ بغية تحديد البنيات الاجتماعية، والعقلية والثقافية، التي ساهمت بشكل كبير في خلق وإنتاج المذاهب والفرق داخل المجتمعات الوسطى، إلا بالعودة إلى تاريخ الفتنة الكبرى التي أدت إلى حدوث تغيير كبير في الفكر والمذاهب، ابتدأت بقتل الخليفة الثالث للمسلمين عثمان ابن عفان من طرف ثوار البصرة والكوفة ومصر.

وبعد اطلاعنا على مجموعة من الكتب والمصادر ، فاكتشفنا أنا المجتمع الإسلامي وقت ذاك كان مجتمعا مركبا، يتشكل من مجموعة من الإثنيات، والقوميات، والقبائل، كل واحدة متعصبة لإثنيتها ووحدتها الداخلية المتنافرة مع القومية الأخرى، وتتحدد هذه الإثنيات بالخصوص في أربع وهم:

- الأول: جزيرة العرب ذات طابع نمط عيش قبائلي متعصب لعرقه،
- الثاني: بلاد فارس والعراق ذات طابع حضاري عريق متنوع العرقيات والثقافات،
- الثالث: الشام ذات طابع ازدواجي (ثقافي وحضاري): متمثل في نمط العيش الروماني الحضاري الذي يعرف نوعا ما حضور مؤسسات التي تؤطر الحياة الاجتماعية والاقتصادية بنظام حكم يغري جميع من في المنطقة التعامل معه، ونمط عيش آخر متعدد الأعراق وبصفته الأرض الحاضنة للأديان والعبادات.

- الرابع: مصر التي تعتبر عريقة الحضارة ولها سلوك وعقلية ونمط عيش مختلف عما سبق.

وبالتالي يمكننا القول إن هناك دينا جديدا ظهر في جزيرة العرب يريد أن يقيم نظام له، متكامل في أرض قبائلية، لا تعرف لها نظام، ويريد أن يدخل المناطق الثلاث تحت حكمه ونظامه، هذا ما نتج عنه اصطدام من حيث الذهنيات والتوجهات في طريقة الحكم والكيفية التي يجب أن يكون عليها النظام، وجد هذا الاصطدام بعد أن دخلت هذه المناطق الثلاث في مواجهة مع الحضارة الإسلامية، هذا الصراع ظهر بشكل جلي أثناء الفتنة الكبرى وبعدها. وقبل أن نحدد العقليات والذهنيات التاريخية لهذه المرحلة وجب التركيز على المسألة الموضوعية العلمية والثقافية والتقيد بها؛أي لا نحكم ولا نجزم في مسألة الإيمان والكفر والنفاق الذي يشمله مجتمع الدراسة، فهذه المسألة يختص بها الخالق وحده.وكل ما يهمنا هنا هو فهم الذهنيات التاريخية بغرض تحديد نوعية السلوك ومآلاته التي تقود إلى صنع اتجاهات ومذاهب.

إن محمد النبي جاء بمنهاج يقود إلى إقامة نظام، وبشكل دقيق جاء بضمير يقول إن فعلت هذا فلك هذا، وإن فعلت هذا فعليك هذا، وكل هذا موجه للناس أجمعين ليفهموا نظام حياتهم انطلاقا من هذا المنهاج والضمير.وهنا يختبر مدى فهم الذهنية والعقلية القبلية للجزيرة العربية لرسالة نبيهم، وكذا الكيفية التي يجب إسقاطها على واقعهم المعاش في التعامل مع هذا المنهاج الجديد وتنزيله في أرض الواقع، ليترجم إلى نظام حكم ونظام حياة بصفة عامة، هنا وقعت المعضلة الكبرى، بحيث لم تجد العقلية العربية نموذجا لنظام شمولي يلبي جميع اهتمامات الطوائف والإثنيات، روحيا وماديا، وحضاريا، يستوعب و يستهوي القلوب أن تحيى تحت حكمه، وذلك راجع إلى طبيعة المقومات الخلافة كنظام.ما نريد أن نخلص له هو أن الأحداث التي جاءت بعد مقتل عثمان، تمخضت عن أطماع عدة جهات داخل الكيان الجديد من أجل الظفر بالحكم، بعد أن رأوا غيابه والقائمين عليه أناس لا يحسنون إقامة وقيادة نظام الحكم، ولكنهم يحسنون أن يكونوا وعاظ، وروحانيين.

وهذا ما دفع الثوار الذين قتلوا عثمان، وجعل قواد الثورة يخلقون اتجاه معين مضاد لطريقة الحكم وطبيعته، وهذا الاتجاه خلق فيما بعد مذهب الخوارج.هذا من جهة، أما من جهة أخرى وضعت الأمة الإسلامية في أكبر اختبار لها على الإطلاق، هو صراع الإمام علي ومعاوية، في بداية الأمرعلى توقيت الانتقام من قتلة عثمان بن عفان، ولكن في ما بعد ظهرت نوايا هذا الصراع بشكل واضح، وخاصة من طرف معاوية بالظفر بالحكم.

انطلاقا مما سبق، ومن خلال تعمقنا لهذا الصراع تبين لنا أن طريقة علي في إدارة المرحلة، تميل إلى خلق وإقامة النظام انطلاقا من المنهاج النبوي بضمير ومبادئ لا تقبل التنازل، يمكننا القول إن علي عمل على التوافق مع النظام النبوي فهما وسلوكا وأراد أن يسقطه على أرض الواقع.فكانت الأمة في هذا الصراع(أي صراع علي ومعاوية) في مفترق الطرق، بين اختبارين؛ الاختبار الأول هو إتباع المنهاج النبوي الذي يمثله علي وجيشه، والثاني إتباع المنهاج الأموي الذي يمثله معاوية وجيشه، المنتصر هو من يؤسس نظاما انطلاقا من منهجه.

نتج عن هذا الصراع انقسامات وظهور فرق ومذاهب متطاحنة فيما بينها نذكر منها:الخوارج التي كفرت علي وعادت معاوية، ومذهب الشيعة التي تحمل راية آل البيت وتقدسهم وتجعل منهم منهاج حكمهم ونظامهم، ومذهب السنة الذي يجعل من الصحابة منهاج حياتهم وأن معاوية لا يتجزأ منهم والأخذ بسنتهم متغافلين وتاركين للمنهاج النبوي، بمعنى تغيب العقل والتفكير والاكتفاء بسنن الصحابة، لكن المنطق ولب الشيء لا يكمن في إتباع السنة فقط بل البحث والتعرف على المنهاج الذي أنتج هذه السنة والسلوك. ولربط هذا التحليل بمسألة عودة الموتى نقول: أن هذا الصراع والمعارك والفتنة الكبرى هي التي ساهمت في ظهور مذاهب وفرق، وهاته الأخيرة أنتجت بدورها معتقدات وعقليات فكانت الفرق المنتصرة والتي يمثلها معاوية ليست لديها مشكل في عودة الموتى لأنهم هم الحاكمين في أرض الواقع، أما

الشيعة الذين يمثلون الطرف المهزوم وأنهم تعرضوا للظلم فقد حاولوا أن ينتجوا فكرة عودة المهدي المخلص والمنقذ، وحث الناس على الإيمان بها ومعاقبة كل من لم يؤمن بها، ومن أجل خلق نظام حكم جعلوا من هذا اتجاه مذهبي يتبع، وآمنوا بفكرة عودة الموتى، مرة عودة الحسين ومرة في علي ومرة في المهدي المنتظر في آخر الزمان الذي يملأ الأرض عدلا وينصرهم ويحكموا العالم، وكل هذا من أجل كسب الشرعية لاستمرار نظامهم ومذهبهم، بل تطورالأمر إلى أن أصبحت فكرة عودة المهدي المنتظر دعوة يدعوا لها كل من طمع في الحكم ليستمد منها الشرعية، هذا ما سوف نفسره في المحور الموالي.

المحور الثاني:المهدوية بالمغرب الإسلامي والمشرق العربي من الواقع إلى العقائد.

كل الأديان السماوية والتي سبقت الإسلام في الزمن بشرت بفكرة المهدي، وإن اختلفت المسميات، بل إن أديانا غير سماوية وصلت إليها فكرة المهدي المنتظر وبشرت به[32]. فالمهدي، حسب هذا الفهم، هو شخص يتوقع المسلمون ظهوره في آخر الزمان ليكون شخصا عادلا، لدرجة أنه سينهي الظلم والفساد في الأرض وينشر العدل: "وعلى الرغم من أن المصادر الإسلامية تكاد تجمع على ظهوره إلا أنها تختلف على شخصيته"[33]. وبذلك تكرست الاختلافات الفكرية والعقائدية بين مذاهب المسلمين ليست في فهم الإسلام وطريقة التعامل ومع وتشريعاته: "ولا غرابة أن تختلف الأمة في فهمها لعقيدة المهدي الموعود".[34]

1.2 نماذج ادعاء المهدوية بالمشرق العربي

شهد المشرق العربي انتشارا واسعا لفكرة المهدي المنتظر عبر تاريخه المديد، من خلال العديد من الحركات المذهبية والدعوات السياسية التي رامت التغير والإصلاح، نذكر منها الفرق التابعة لمذهب الإمامية:الكيسانية، والناووسية، والقرامطة، الاثنا عشرية.

1-1) معتقد المهدي المنتظر عند القرامطة

"ظهر القرامطة في البحرين والشام بعد أن انشقوا على الإمام الاسماعيلي نفسه، ونهبوا أمواله ومتاعه، فهرب من سلمية في سوريا إلى بلاد ما وراء النهر خوفا من بطشهم، ومن أبرز شخصياتها:داعية الفرح بن عثمان القشاني، ظهر في العراق وأخذ يدعو الإمام المستور، ثم حمدان قرمط بن الأشعث (278ه)، جهر بالدعوة قرب الكوفة.والحسن بن بهرام(أبو سعيد الجنابي)ظهر في البحرين، ويعتبر مؤسس دولة القرامطة[35]، وأشاع بين الناس أن العالم الإسلامي غارق في الجهل والظلم، وأن لا سبيل إلى الخلاص من هذا الوضع، إلا بمهدي المنتظر يملأ الأرض عدلا ورحمة.في ظل هاته الظروف ظهرت فرقة القرامطة في العراق وتزعمها حمدان القرمط، ويقال:إن معنى قرمط باللسان الآرامي"المعلم السري"، والعرب يقولون:إنها مشتقة من القرمط معنى القصير. وكان للقرامطة تعاليم دينية قائمة على الاتصال بالله عز وجل والوحي الخفي إلى زعمائهم، وكان من أبرز الشخصيات التي كان لها أثر كبير في الإسلام"الأول الحسن بن منصور الحلاج"، وهو فارسي الأصل، قال:بوحدة الوجود، وهو من أصل مجوسي"[36]، وكان له عداء مع الفقهاء فأجمعوا على قتله، فتم أسره ثم قتله ونصبوا رأسه على الجسر ببغداد، وجعل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوما. وأما عن محمد بن علي الشلغماني، وهو من دعاة القرامطة:"فقد أحدث مذهبا في التشيع والتناسخ، وحلول الله في الجسد على نحو ما فعل الحلاج، وقد اتجه إلى بغداد وادعى فيها الربوبية، وادعى أنه الباب إلى المهدي المنتظر، وعرض أمره على الفقهاء فأفتوا بقتله وإباحة دمائه، فأحرق بالنار سنة 322ه"[37].والملاحظ أنه كان هناك خلاف قائم بين الفقهاء والمتصوفة الذين اعتبرهم الفقهاء يبالغون في الدين ويتوسعون فيه بإفراط.

(1-2 موقف الفرق الاثنا عشرية الإمامية من المهدي المنتظر (جدلية الظهور والاستتار)

ولد الحسن بن علي العسكري في شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين ومائتين، وتوفي بسر سنة وستين ومائتين، ودفن في داره في البيت الذي دفن فيه أبوه وهو ابن ثمان وعشرين سنة، وكانت إمامته خمس سنين وثمانية أشهر وخمس أيام، وتوفي ولم ير له أثر ولم

يعرف له ولد ظاهر فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه وهي أم ولد يقال لها عسفان[38].بعد وفاة الإمام الحسن بن علي العسكري انقسمت الفرق الاثنا عشرية إلى أربع عشرة فرقة، نذكر بعض الفرق التي اعتقدت بعودة الإمام الحسن بن علي:

الفرقة الأولى:

قالت :"إن الحسن بن علي حي لم يمت وإنما غاب وهو القائم ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر، لأن الأرض لا تخلو من إمام، وقد ثبتت إمامته والرواية قائمة أن للقائم غيبتين فهذه الغيبة إحداهما وسيظهر ويعرف ثم يغيب غيبة أخرى، وقالوا: إن الفرقة الواقفة أخطأت في الوقوف على موسى لما ظهرت وفاته لأنه توفي عن خلف قائم أوصى إليه وهو الرضا عليه السلام، وخلف غيره بضعة عشر ذكرا، وكل إمام ظهرت وفاته كما ظهرت وفاة آبائه وله خلف ظاهر معروف، فهو ميت لا محالة وإنما القائم المهدي يجوز الوقوف على حياته، من ظهرت له وفاة عن خلف فيضطر شيعته إلى الوقوف عليه إلى أن يظهر لأنه لا يجوز موت إمام بلا خلف فقد صح أنه غاب".[39]

الفرقة الثانية:

وقالت الفرقة الثانية:"إن الحسن بن علي مات وعاش بعد موته، وهو القائم المهدي، والقائم هو أن يقوم من بعد الموت، ويقوم ولا ولد له، ولو كان له ولد لصح موته ولا رجوع، لأن الإمامة كانت تثبت لخلفه ولا أوصى إلى أحد فلا شك أنه القائم، والحسن بن علي قد مات لا شك في موته ولا ولد له ولا خلف ولا أوصى، إذ لا وصية له ولا وصي، أنه قد عاش بعد الموت، والقائم إذا بلغ الناس خبر قيامه قالوا كيف يكون فلان وقد بليت عظامه، فهو اليوم حي مستتر، لا يظهر وسيظهر ويقوم بأمر الناس ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وإنما قالوا إنه حي بعد الموت وإنه مستتر خائف، لأنه لا يجوز عندهم أن تخلو الأرض من حجة قائم على ظهرها عدل حي ظاهر، أو خائف مغمود للخبر"[40]. روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في بعض خطبه:"اللهم إنك لا تخلي الأرض من حجة لك ظاهر، أو مغمود لئلا تبطل حججك "فهذا دليل على أنه عاش بعد موته، وليس بين الفرقة الأولى والثانية، فرق أكثر من أن هذه الأخيرة صححت موت الحسن بن علي عليه السلام، وأن الأولى قالت: إنه غاب وهو حي وأنكرت موته وهذه أيضا شبيهة بفرقة من الواقفة على موسى ابن جعفر عليه السلام، وإذا قيل لهم:من أين قلتم هذا وما حجتكم عليه، رجعوا إلى تأويل الروايات".[41]

(1-5 التوظيف السياسي لمعتقد المهدي المنتظر

لعل من أشهر العقائد التي ينطبق عليها مفهوم (التوظيف السياسي)هي عقيدة (المخَلِّص)، والتي يجسدها الإمام المهدي في الديانة الإسلامية، فلم يحدثنا التاريخ عن فكرة دينية وظفت سياسيا وشغلت الناس أكثر من فكرة المهدي والمهدوية، فلها في كل زمان ودولة رجال وثورات وروايات."يقول هبة الدين الشهرستاني في إحدى رسائله الجوابية حول أدعياء المهدوية (لم أجد بين المسائل الإسلامية مسألة أثارت الأوهام مثل هذه، ولا قضية كهذه قسمت الأمة وجعلتهم شيعا لا يستقرون على شيء، ولا رأيت مثارا للفتن والحروب الدموية"[42]، ولذلك يرى أن بعض أهل العلم من مسلمي عصرنا قد أنكر أمر المهدي بالمرة، وما حمله على إنكار هذه الحقيقة المشهورة إلا الفرار من تبعاتها والخلاص من مشكلاتها، وإخماد فتنة(المتمهديين)الذين جلبوا على العالم الإسلامي خسائر مهمة، ولا سيما في مصر والسودان، والمغرب الأقصى.

يكشف هذا الواقع عن ظهور جماعات وفرق كثيرة ادعت المهدوية ورفعت شعاراتها، بدوافع يأتي في مقدمتها السعي إلى تحقيق مكاسب سياسية، والطمع في الملك والسلطة"[43]، وكان البعض منها يسعى لزرع بعض الأفكار غير المرتبطة بالدين الإسلامي، والادعاء بأنها لا تتعارض مع أسسه وثوابته المعروفة:"وهم أيضا ليسوا ببعيدين عن المطامع السياسية ولكن بدواعي عقائدية".[44]

نستنتج من خلال ما ورد في هذا المحور، أن مسألة ولادة الإمام المهدي ، ووجوده، وحياته، وغيبته يبقى أمرا(عقائديا-غيبيا-كونيا)، لا يمكن الاكتفاء فيه بالبحث التاريخي فقط، بل هو إثبات عقائدي وتاريخي في آن واحد، تقوم فيه العقيدة بأداء دور أساسي، فيما يؤدي البحث التاريخي فيه دورا في فهم خلفيات الصراع السياسي وتوظيف العقيدة فيه.

2) نماذج ادعاء المهدوية في الغرب الإسلامي

1-1) مهدوية صالح ابن طريف

ينسب تأسيس إمارة برغواطة إلى طريف أو ابنه صالح بن طريف الإمارة البرغواطية، وقيل إنه من ولد شمعون بن يعقوب ابن إسحاق وإنه من أصحاب ميسرة المطغري وتنسب إلى طريف جزيرة طريف بالأندلس[45] . ومقتل ميسرة افترق أصحابه ونزل طريف بلدة تامسنا، وكان آنذاك ملكا لزناته وزواغة فقدمه البربر على أنفسهم، وكان على ديانة الإسلام. وتأثر بعض المؤرخين بالنسب الذي ذكره البكري، وقالوا بأنه يهودي الأصل ويكنى بأبي صبيح، وبعد فشل ثورة ميسرة بقي قائما بأمر برغواطةبتامسنا، ويقال:"إنه تنبأ أيضا وشرع لهم الشرائع".[46]

ويؤكد ابن خلدون أن صالح كان من أهل العلم والخير: "ثم انسلخ عن آيات الله وانتحل دعوة النبوة وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده"[47].واختلف في تاريخ ظهوره ووفاته فبعضهم يرى أنه ظهر في القرن الأول من الهجرة، وأنه إنما انتحل ذلك عنادا أو محاكاة لما بلغه بشأن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الرواية مشكوك فيها فندها ابن خلدون وغيره.وأكد أن ظهوره كان في خلافة هشام بن عبد الملك سنة 127هـ.وهي السنة التي توفي فيها أبوه[48].أما بخصوص وفاته، فذكر أنه توفي بعد وفاة الرسول بمائة عام[49].وتبقى رواية مشكوك في أمرها ولا تنطبق مع فترة ظهوره، لأن فكر الخوارج لم يتبلور بعد في المغرب، ولم يعلن ميسرة عن ثورته التي ظهر صالح بعدها، وتم تحديد وفاته 174هـ بعد أن حكم سبعا وأربعين عاما وهي الأقرب إلى الصواب[50] . وقد وردت كذلك إشارة لهذه الرواية في كتاب"الفصل في الملل والأهواء والنحل"للإمام ابن حزم الظاهري"إن برغواطة ينتظرون عودة صالح ابن طريف الذي شرع لهم دينهم"[51]. وزعم كذلك أنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدجال، ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وأن عيسى بن مريم يكون من أصحابه ويصلى خلفه، وتكلم كلاما كثيرا نسبه إلى موسى وإلى سطيح الكاهن والى ابن عباس.وذكر أن اسمه في اللسان العربي صالح وفي السرياني مالك وفي الفارسي عالم وفي العبري وربيا وفي البربري ورباوري ومعناه ليس بعده نبي".[52]

وتشير الأسطورة إلى أن صالحا رحل إلى المشرق بعد أن حكم سبعا وأربعين عاما، ووعد أصحابه بأنه سيرجع في حكم خليفته السابع"[53]."وتثير هذه الرواية عدة تساؤلات:فمتى رحل صالح إلى الشرق هل بعد أن حكم لسبع وأربعين عاما؟أم قبل تسلمه السلطة كما يفهم من رواية ابن حوقلأبو القاسم النصيبي في "صورة الأرض"؟وتبدو رواية البكري هي الأقرب للصواب.فأين تعلم السحر؟وجمع منه فنونا ودرس علم الفلك وذاع علمه بين البربر؟إذا تعلم هذه الفنون فقد تعلمها بعد أن أنهى حكمه فكيف نشرها بين قومه؟الواضح أن صالح رحل قبل تسلمه السلطة، ودرس شيئا عن النجوم والتقاويم والمواليد وأصاب في أكثر أحكامه كما يقول ابن حوقل"[54]." نشهد من خلال هذه النصوص، التي اشتغل عليها جملة من الباحثين وأعدنا الإشارة إليها هنا، إلى أن صالح رحل إلى الشرق، وأن هناك اختلافا حول سنة الظهور، فابن خلدون يرجعها إلى سنة 127هـ، وهناك من يرجعها إلى أول الهجرة، وكذلك يذكر بعض المؤرخين مثل ابن خلدون والبكري وابن حوقل، أن صالح ابن طريف ادعى النبوة، وزعم أنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان، وأن عيسى يكون صاحبه ويصلي خلفه، وأنه عهد إلى ابنه الياس بديانته وعلمه شرائعه وفقهه في دينه، وأمره بأن لا يظهر الديانة حتى يظهر أمره ووعده أنه يرجع في دولة السابع من ملوكهم، وأنه سيعود في آخر الزمان لينشر القسط والعدل ويحارب الظلم .وتشير الروايات أن صالحا أوصى بشريعته إلى ابنه إلياس وفقهه وأوصاه بأن لا يظهر ذلك إلا إذا قوي أمره، حينئذ يقتل من خالفه كذلك أمره بموالاة أمير

الأندلس[55] . "وتولى من بعده يونس الذي كثرت حوله الأساطير، فقيل إنه رحل إلى الشرق، وحج ولم يحج أحد من أهل بيته قبله ولا بعده"[56]."والسؤال المطروح هل ذهب يونس فعلا للحج أم أنه ذهب لدراسة العلوم في الشرق؟.فإذا افترضنا أنه ذهب إلى الحج فهو مسلم، وبالتالي لا ينطبق هذا القول مع الروايات القائلة بأنه دعا إلى ديانة أبيه.ولكن يبدو أنه ذهب لدراسة العلوم، لأن معظم المصادر تشير إلى أنه تعلم علم النجوم والكهانة والجان"[57]."ثم اتجه نحو الأندلس فنزل بين هؤلاء القوم من رفاقه فلما رأى جهلهم استوطن وكان يخبرهم بأشياء قبل حدوثها فكان يقع ما قال أو قريبا منه مما يدل على علمه بالتنجيم والكهانة، فعظم أثره عندهم فأظهر ديانته الجديدة التي تقبلوها"[58]. ويظهر من هذا النص الاضطراب والخلط بين شخصيتي صالح ابن طريف وابنه يونس، هناك فرضية فإما أن يكون هو صاحب هذه التعاليم بالفعل وأنه نسبها إلى جده. وبالتالي، ظل معتقد عودة المهدي مستمراوانتقل من المغرب الأقصى إلى المغرب الأدنى، مع الفرق الإسماعيلية التي كانت تؤمن بعودة إسماعيل بعد موته في آخر الزمان يملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما.

2-2) المهدي المنتظر في الفكر الاسماعيلي الفاطمي

حتمية ظهور المنقذ المخلص آخر الزمان هو اعتقاد عالمي، فجميع الأديان والملل تنتظر خروج شخص يخلص العالم من الظلم والجو، وينشر القسط والعدل، المسلمون يعتقدون بالمنقذ المخلص للبشرية، ويسمونه المهدي المنتظر عليه السلام، ويؤكدون أنه من ذرية فاطمة الزهراء عليها السلام كما بشر به الرسول صلى الله عليه وسلم.إن الإسلام بركنيه القرآن الكريم، والسنة النبوية، هما المصدر والمنبع لدى المسلمين للاعتقاد والإيمان بفكرة المهدي، وعلى ذلك أجمع المسلمون بكافة أطيافهم ومذاهبهم. وفي هذا الشق نحاول تسليط بعض الضوء على فكرة المهدي عند أتباع المذهب الاسماعيلي بفرقه المختلفة، افترقت الطائفة الإسماعيلية إلى فرق متعددة، وبعض هذه الفرق التاريخية قد انتهى وانقرض مثل (القرامطة)[59]، وقد نشأت فرق جديدة بعد أن وقع نزاع حول الخلافة بعد الإمام الفاطمي المستنصر بالله عام (687هـ/1094م)مما قسم الإسماعيليين بشكل دائم إلى جماعتين هما:الفرق النزارية القائلة بإمامة نزار بن المستنصر بالله واتبعته.والفرقة المستعلية وهي التي اتبعت وقالت بإمامة المستعلي بن المستنصر بالله"[60]. ويعد الإمام هو محور المذهب الاسماعيلي: "وجل العقيدة تدور حول شخصيته، فالطائفة الإسماعيلية قالت إن الإمامة تكون لإسماعيل في زمان الإمام الصادق عليه السلام، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد مات إسماعيل قبل أبيه عليه السلام، فأشكل عليهم الأمر فلجأ بعضهم إلى فكرة غيبة الإمام، وقالوا إن إسماعيل لم يمت، بل اختفى وسيظهر بعد ذلك"[61]. وبالمقابل، فغالبية الطائفة رفضوا فكرة الغيبة لإسماعيل، حيث الواقع والأدلة التاريخية تؤكد وفاته، لذا التزموا بقاعدة الإمامة للذرية، فقالوا:"بأن الإمام بعد الإمام الصادق عليه السلام هو الابن الأكبر لإسماعيل، وهو محمد الذي تركه أبوه في الثالثة من عمره".[62]

انتشرت لاحقا فكرة لدى غالبية الإسماعيليين الأوائل بعد أن صاغت الإمامة في إسماعيل ثم في ولده محمد، فأصبحوا يعتقدون ويقولون أن محمد قد ذهب غيبة وعند عودته سوف يبايعه العالم بصفته المهدي أو القائم ليملأ الأرض عدلا وقسطا. "وفي عام (296هـ) وبعد زمن قصير من استلام عبد الله المهدي الخليفة الفاطمي الأول الذي أسس أول دولة إسماعيلية فاطمية في المهدية بإفريقية (تونس)، غير بعض التوجهات العقائدية المرسلة لأتباعه، فبدلا من التمسك بمهدوية محمد بن إسماعيل الذي قامت الدعوة باسمه ونيابة عنه، فان القائد الجديد عبد الله المهدي ادعى الإمامة والمهدوية لنفسه، وكذلك الإمامة لأسلافه الذين قادوا الإسماعيليين بعد محمد بن إسماعيل.وكان قادة الإسماعيليين المركزين قبل إصلاح عبد الله المهدي، يتخذون لأنفسهم رتبة والحجة للإمام الغائب، وكانت العقيدة أنه عبر الحجة يمكن للأتباع الاتصال بالمهدي المستور"[63]. وعموما، يتضمن إصلاح عبد الله المهدي رفض مهدوية محمد بن إسماعيل التي كانت النقطة المركزية في العقيدة التي عليهاغالبية الإسماعيلية.[64]

3-2)المهدي الصادق في الفجر الكاذب(ابن تومرت الموحدي)

يعد محمد بن تومرت "المهدي" مؤسس الدولة الموحدية، ولد حوالي عام 473هـ/1080م في إحدى قرى جبال درن جنوب المغرب الأقصى حيث تعيش قبائل المصامدة التي ينتمي إليها[65].وقد كان فقيها وفصيح اللسان، ذهب في رحلة إلى المشرق لتلقي العلم على يد كبار العلماء ، ثم رجع إلى المغرب فنشر فيه دعوته، ووضع كبرى معالم مشروعه، فادعى أنه المهدي المنتظر الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم، بيد أن هذا الادعاء لم يأت دفعة واحدة، وإنما سبقته إرهاصات ومقدمات كانت بمثابة تمهيد له.ومن ذلك أنه لما كان ببجاية بعد عودته من الرحلة المشرقية قال لصاحبه أبي بكر بن علي البيذق الصنهاجي:"يا أبا بكر، ناد الصبيان للورد يقومون، يأخذون حزبهم، فلما أقبلوا عليه، قال لهم:إنما الله إله واحد، والرسول حق، والمهدي حق، فاقرؤوا حديث أبي داود وتعرفوا الأمر، وعليكم بالسمع والطاعة ربكم، والسلام"[66]. وبمجرد ما أيقن ابن تومرت بميل الناس إليه أعلن أنه المهدي ، الذي سيظهر في آخر زمان يملأ الأرض عدلا ورحمة كما ملئت جورا وظلما.قال عبد الواحد المراكشي(ت647هـ): "وجعل يذكر المهدي، ويشوق إليه، وجمع الأحاديث التي جاءت فيه من المصنفات فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ونسبه ونعته ادعى ذلك لنفسه وقال:"أنا محمد بن عبد الله، ورفع نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وصرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استقر عندهم أنه المهدي، وبسط يده فبايعوه على ذلك"[67].وقال ابن أبي زرع (كان حيا سنة741هـ): "وكان المهدي أوحد عصره في علم الكلام وعلوم الاعتقاد، حافظا للحديث والفقه، له لسانه وفصاحة، فأخذ يشيع عند الناس أنه الإمام المهدي المنتظر المختبر به، القائم في آخر الزمان، الذي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا".[68]

وقد طال الحديث عن المهدي وصفاته في كتابه:"أعز ما يطلب"وكثير من ذلك منسوب للسنة النبوية، ومنه قوله:"أما الحسب فحسب الموحدين، وأما النسب فإنه من ذرية فاطمة، وأما الزمان فيأتي في آخر الزمان، وأما المكان الذي قام منه...وأما القول فإنه قال:"أنا المهدي، وهو صادق في قوله، وأما الفصل فإنه يفتح الدنيا شرقها وغربها"[69]. ومن أهم ركائز عقيدة ابن تومرت نذكر منها:"أنه ادعى المهدوية وقال بأنه هو المهدي المنتظر، الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم، والذي يبعثه الله –سبحانه وتعالى –ليملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جورا، ، من خلال مؤلفاته التي أمر أتباعه بحفظها وتطبيقها، ومما جاء بها عن قضية المهدي، قوله:((أن العدل ارتفع، وأن الجور عم، وأن الرؤساء الجهال استولوا على الدنيا، وأن الباطل لا يرفعه إلا المهدي، وأن الحق لا يقوم إلا بالمهدي، وأن المهدي ملومفي العرب والعجم والبدو والحضر، وأن العلم به ثابت في كل مكان وفي كل آن وأوان...))".[70]

4.خاتمة:

وفي مجمل القول، نخلص إلى أن ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية، كانت له عبقرية تنظيمية محكمة، ومنهجية تربوية، وأهداف سياسة سعى بكل الوسائل والأساليب لتحقيقها، وكذلك شكل وسط المجتمع المغربي الذي كان يطغى عليه طابع الجهل في انتشار معتقدات ابن تومرت، والواضح أن المهدي الموحدي من أجل تحقيق طرحه الديني-السياسي ادعى أنه من نسب شريف، الشيء الذي لم يثبت تاريخيا بحسب العديد من الباحثين. نستنتج انطلاقا من المعطيات الواردة في هذا المحور، أن الذين يدعون المهدوية كل واحد منهم يعتبر نفسه هو المهدي المنتظر عودته، وبذلك يروجون بين الناس شائعة عودة المهدي عبر أتباعهم، لكسب شرعية الحكم وولاء الناس، من أجل تحقيق أهدافهم السياسية خاصة، والإيديولوجية عامة، فهذا ما ثم رصده في هذا المحور، من خلال عرض لبعض نماذج ادعاء المهدوية في المشرق والغرب الإسلامي ونخلص إلى أهم الأسباب والدوافع التي أدت إلى انتشار فكرة عودة المهدي المنتظر، وهي أنا منطقة المشرق والغرب الإسلامي، شهدت عبر تاريخها الطويل حركات ومذاهب ودعوات سياسية عديدة، كانت تسعى إلى خلق التغيير والإصلاح وأمام رغبتها في استثمار عناصر القوة في محيطها، فقد لجأت بعض الحركات المهدوية في الغرب الإسلامي إلى

استلهام ما كان سائد لدى المغاربة من ذهنيات وثمثلات دينية، كان على رأسها الإيمان المطلق (بالخوارق والكرامات الصوفية)، وهو الأمر الذي شكل أقوى الأسباب المساعدة على الالتفاف حول مدعي المهدوية. نشأت عدة حركات سياسية وثورية في بلاد الغرب الإسلامي نذكر منها: الحركة الإسماعيلية التي كانت تؤمن بعودة إسماعيل مهديا بعد موته، وقامت هذه الحركة على فكرة عودة المهدي المنتظر وشكلت منعطفا حاسما في تاريخ المنطقة، وأيضا حركة الموحدين التي استندت في انبعاثها على دعوة المهدي المنتظر عودته وهو المهدي ابن تومرت الذي ادعى أن له كرامات من بينها تكليم الموتى. كذلك ظهرت الحركات الثورية التي أدت دور كبير في إنعاش وتوسيع فكرة عودة المهدي التي كانت في الغالب ذات إيديولوجية شيعية.

وبالتالي، يتضح للباحث التوظيف السياسي في المشرق والمغرب لعقيدة المهدي، نظرا لقدرتها على تجييش المخيال الجماعي ومجاراة مشاعر الناس في البحث عن مخلص ومنقذ من الأزمات الاجتماعية باقتراح بديل معزز بقوة خارقة ومؤيد بالقدرة الإلهية.

5.الببلوغر افيا

القرآن الكريم

المصادرو المراجع:

1 ابن القطان الكتامي أبو محمد حسن بن علي بن عبد المالك، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، الطبعة الأولى ، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1990م.

2. ابن حزم الظاهري الأندلسي، الفصل في الملل الأهواء والنحل، مكتبة السلام العالمية، الشارقة- الإمارات، 1964م.
3. ابن حوقل أبو القاسم النصيبي ، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1992م.
4. ابن خلدون، كتاب العبروديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1421هـ/2000م.
5. أحمد أمين، فجر الإسلام، الطبعة الثانية عشرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1978م.
6. البغدادي العُكبري أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، مؤسسة البيت إحياء التراث، بيروت – لبنان، 1429هـ/2008م.
7. البكري أبو عبيد ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب" المسالك والممالك"، الجزء الأول، مكتبة المثنى، بغداد، 2009م.
8. الصفار أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ، بصائر الدرجات، الجزء الأول، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، 2010م
9. الصلابي علي محمد، دولة المغول والتتاربين انتشاروالانكسار، الطبعة الأولى، دار المعرفة بيروت –لبنان، 1430هـ/2009م.
10. الطالبي محمد، العبيد يإبراهيم، البرغواطيون في المغرب، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة تانسيفت، الدار البيضاء، 1999 م.
11. آية الله السيد صدر الدين الصدر، المهدي، الطبعة الثالثة، مؤسسة بستان الكتاب، طهران-إيران، 1428هـ، ص:126.
12. ابن أبي زرع علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط، 2، الرباط، 1420هـ/1999م.
13. البيذق أبو بكر الصنهاجي، أخبار المهدي وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والور اقة، الرباط، 1971م.
14. البيذق أبو بكر الصنهاجي، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن المنصور، دار المنصور، الرباط، 1971م.
15. السجستاني الحافظ سليمان بن الأشعث، سنن أبو داود - كتاب المهدي، تحقيق محمد عبد العزيز، الطبعة الأولى، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1416هـ/1996م.
16. العاملي الحر، وسائل الشيعة، الطبعة الثانية، الجزء السادس عشر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء تراث، إيران، 1414هـ
17. القزويني كاظم محمد السيد، الإمام المهدي من مهد إلى الظهور، الطبعة الأولى، مؤسسة الوفاء، الدار المقدسة، بيروت- لبنان، 1405 هـ/1985م.

18. الكليني، الكافي، الطبعة الخامسة، الجزء الأول، دار الكتب الإسلامية، طهران -إيران، 1363هـ
19. المجلسي محمد الباقر، بحار الأنوار، الطبعةالثالثة، الجزء الحادي والخمسون دار الإحياء والتراث العربي، بيروت-لبنان، 1403هـ/1983م.
20. المرجو اني كمال الدين نور الدين، نشأة الفرق وتفرقها، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1971م.
21. النوبختي الحسن بن موسى، فرقالشيعة، الطبعةالأولى، منشورات الرضا، بيروت-لبنان، 1433هـ/2012م.

[1] المرجو اني كمال الدين نور الدين، نشأة الفرق وتفرقها، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1971م، ص:78.

[2] المجلسي محمد الباقر، بحار الأنوار، الطبعة الثالثة، الجزء الثاني، دار الإحياء والتراث العربي، بيروت-لبنان، 1430هـ، ص:13.

[3] نفسه ، ج4، ص13.

[4] نفسه ، الصفحة نفسها.

[5] نفسه، ج17، ص:13.

[6] المصدر نفسه ، ج25، ص:13.

[7] الصفار أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ، بصائر الدرجات، الجزء الأول، ، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، 2010م، ص:43-44.

[8] البغدادي العُكبري أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، مؤسسة البيت إحياء التراث، بيروت–لبنان، 1429هـ/2008م، ص:3 .

[9] الكليني، الكافي، الطبعة الخامسة، ج1، دار الكتب الإسلامية، طهران–إيران، 1363هـ، ص:375.

[10] القزويني كاظم محمد السيد، الإمام المهدي من المهد إلى الظهور، الطبعة الأولى، مؤسسة الوفاء، الدار المقدسة، بيروت-لبنان، 1405هـ/1985م، ص:118.

[11] المجلسي محمد الباقر، بحار الأنوار ج51، ص:82.

[12] المجلسي محمد الباقر، بحار الأنوار، ج51، ص:82.

[13] العاملي الحر، وسائل الشيعة، الطبعة الثانية، الجزء السادس عشر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، إيران، 1414هـ، ص:246.

[14] المرجو اني، نشأة الفرق وتفرقها، ص:78.

[15] المجلسي محمد الباقر، بحار الأنوار، ج51، ص:365.

[16] نفسه، ج51، ص: 346.

[17] الكليني، الكافي، ص:338.

[18] المجلسي محمد الباقر، بحار الأنوار، ج52، ص:51.

[19] النوبختي الحسن بن موسى، فرق الشيعة، الطبعة الأولى، منشورات الرضا، بيروت-لبنان، 1433هـ/2012م، ص:155-154.

[20] نفسه، ص:97.

[21] ابن حزم الظاهري الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج4، مكتبة السلام العالمية، الشارقة-الإمارات، 1964م، ص:138-137.

[22] الكليني، الكافي، ج1، ص:337-338.

[23] آية الله السيد صدر الدين الصدر، المهدي، الطبعة الثالثة، مؤسسة بستان الكتاب، طهران-إيران، 1428هـ، ص:126.

[24] نفسه ، ص:167.

[25] محمد توفيق المقداد، الأبحاث والمقالات، مركز الإشعاع الإسلامي، نسخة إلكترونية، 2019م.

[26] الصلابي محمد علي محمد، الدولة العبيدية الفاطمية، الطبعة الأولى، مكتبةالصحابة، الإمارات- الشارقة، 1427هـ/2007م، ص:50.

[27] السجستاني الحافظ سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، " كتاب المهدي"، تحقيق محمد عبد العزيز، الطبعة الأولى، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1416هـ/1996م ، ص:111.

[28] نفسه، ص:112.

[29] المرجو اني، نشأة الفرق وتفرقها، ص:78.

[30] السجستاني سنن أبي داود، " كتاب المهدي"، ج3، ص111.

[31] نفسه، الصفحة نفسها.

[32] مجتبى الساده، رؤى المهدوية "شذرات فكرية في القضية المهدوية" ، الطبعةالأولى، القطيف-المملكة العربية السعودية، 1437هـ/2016م، ص:18.

[33] نفسه، ص:57.

[34] نفسه ، ص:55.

[35] نفسه، ص:68.

[36]أمين أحمد، المهدي والمهدوية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة-مصر، 2012م، ص:29.

[37]نفسه، ص:30.

[38]النوبختي، فرق الشيعة، ص:152-153.

[39] نفسه، ص:154.

[40]نفسه، ص:155.

[41] نفسه ، ص:156.

[42]ذوالفقارعلي ذوالفقار، التوظيف السياسي لعقيدة المهدي ، نسخة إلكترونية استرجعت بتاريخ، 1405 هـ/ 1984م، ص:41.

[43] نفسه، ص:42.

[44] نفسه، ص:43.

[45]البكري أبو عبيد ، المغرب في ذكربلاد افريقية والمغرب" المسالك والممالك"، الجزء الأول، مكتبة المثنى، بغداد، 2009م، ص141.

[46]نفسه ، ص:68.

[47]ابن خلدون، كتاب العبروديوان المبتدأ والخبرفي أيام العرب والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء السادس ، دارالفكر، بيروت-لبنانن1421هـ/2000م، ص:275.

[48]نفسه، ج6، ص:275.

[49]البكري أبو عبيد، المسالك والممالك، ص133.

[50]الطالبي محمد، العبيدي إبراهيم، البرغواطيون في المغرب، ص:69.

[51] ابن حزم الظاهري الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج4، ص:138.

[52]ابن خلدون ، العبر، ج6، ص:276.

[53]نفسه، ص:276.

[54]ابن حوقل أبو القاسم النصيبي ، صورة الأرض، دارمكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1992م، ص:83.

[55]الطالبي محمد، العبيدي إبراهيم ، البرغواطيون في المغرب، ص:71.

[56]نفسه، الصفحة نفسها.

[57]نفسه، الصفحة نفسها.

[58]نفسه، الصفحة نفسها.

[59] أحمد فرج الله، أدعياء المهدوية، ص:68.

[60]نفسه، ص:69 .

[61]السادة مجتبى ، رؤى مهدوية، ص:44.

[62]نفسه، ص:45.

[63] نفسه، 45.

[64] نفسه ، 45.

[65]البيذق أبوبكرالصنهاجي، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن المنصور، دارالمنصور، الرباط، 1971م، ص:12-13.

Allen J. Fromherz ,The Al Mohads,The Rise of an Islamic Empire :I.b.Tauris ,London.Newyork,2020 . p : 87.

[66]البيذق أبو بكر الصنهاجي ، أخبارالمهدي وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، **1971**م، ص:**17**.

Allen J. Fromherz ,The Al Mohads,p:26 .

[67]المراكشي عبد الواحد ابن علي التميمي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، الطبعة الأولى، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت–لبنان، **2006**هـ/**1426**م، ص:**142–143**.

[68]ابن أبي زرع الفاسي علي بن عبد الله، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، **1999**م، ص:**173**.

[69]ابن تومرت أبو عبد الله بن عبد الله ، أعز ما يطلب، الطبعة الأولى، تحقيق عبد الغني أبو العزم ، الجزائر، **1997**م، ص:**253**.

[70]ابن القطان الكتامي أبو محمد حسن بن علي بن عبد المالك ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ، ص:**47**.

Allen J. Fromherz ,The Al Mohads,p:135.

لائحة المصادروالمراجع:

أولا:المصادر

- ابن أبي زرع علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط، 2، الرباط، 1420هـ/1999م.

ابن القطان الكتامي أبو محمد حسن بن علي بن عبد المالك، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، الطبعة الأولى ، تحقيق محمود علي مكي، - .دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1990م

- ابن حزم الظاهري الأندلسي، الفصل في الملل الأهواء والنحل، مكتبة السلام العالمية، الشارقة- الإمارات، 1964م.

- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي ، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1992م.

- ابن خلدون، كتاب العبروديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1421هـ/2000م.

- البكري أبو عبيد ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب" المسالك والممالك"، الجزء الأول، مكتبة المثنى، بغداد، 2009م.

-البيذق أبو بكر الصنهاجي، أخبار المهدي وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

-البيذق أبو بكر الصنهاجي، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن المنصور، دار المنصور، الرباط، 1971م.

- البغدادي العُكبري أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، مؤسسة البيت إحياء التراث، بيروت – لبنان، 1429هـ/2008م.

-السجستاني الحافظ سليمان بن الأشعث، سنن أبو داود - كتابالمهدي، تحقيق محمد عبد العزيز، الطبعةالأولى، الجزءالثالث، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1416هـ/1996م.

- الصفار أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ، بصائر الدرجات، الجزء الأول، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، 2010م

-العاملي الحر، وسائل الشيعة، الطبعة الثانية، الجزء السادس عشر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء تراث، إيران، 1414هـ

-الكليني، الكافي، الطبعة الخامسة، الجزء الأول، دار الكتب الإسلامية، طهران -إيران، 1363هـ

-المجلسي محمد الباقر، بحار الأنوار، الطبعةالثالثة، الجزء الحادي والخمسون دار الإحياء والتراث العربي، بيروت-لبنان، 1403هـ/1983م.

-النوبختي الحسن بن موسى، فرقالشيعة، الطبعةالأولى، منشورات الرضا، بيروت-لبنان، 1433هـ/2012م.

ثانيا:المراجع

- آية الله السيد صدرالدين الصدر، المهدي، الطبعة الثالثة، مؤسسة بستان الكتاب، طهران-إيران، 1428هـ، ص:126.
- أحمد أمين، فجرالإسلام، الطبعة الثانية عشرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1978م.
- الصلابي علي محمد، دولة المغول والتتاربين انتشاروالانكسار، الطبعة الأولى، دارالمعرفة بيروت –لبنان، 1430هـ/2009م.
- الطالبي محمد، العبيد يإبراهيم، البرغواطيون في المغرب، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة تانسيفت، الدارالبيضاء، 1999 م.

-القزويني كاظم محمد السيد، الإمام المهدي من مهد إلى الظهور، الطبعة الأولى، مؤسسة الوفاء، الدار المقدسة، بيروت- لبنان، 1405 هـ/1985م.
-المرجو اني كمال الدين نورالدين، نشأة الفرق وتفرقها، دارالكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1971م.
- ذو الفقارعلي ذو الفقار، التوظيف السياسي لعقيدة المهدي، نسخة إلكترونية، استرجعت بتاريخ 2020م.
-السادة مجتبى، رؤى مهدوية "شذرات فكرية في القضية المهدوية"، الطبعة الأولى، نسخة إلكترونية مسترجعة بتاريخ، 1437هـ/2014م.
- محمد توفيق المقداد، الأبحاث والمقالات، مركزالإشعاع الإسلامي، نسخة إلكترونية، 2019م.

ثالثا: الدراسات الأجنبية

Allen J. Fromherz ,The AlMohads ,The Rise of an IslamicEmpire :I.b.Tauris ,London.Newyork,2020.